كلية الشيخ الطوسي الجامعة
قسم علوم القرآن
مادة الاعجاز القرآني
المرحلة: الثالثة
اسم الاستاذ: زهراء حسين الحسيني
السنة الدراسية :٢٠٢٣ـ ٢٠٢٤

المحاضرة الاولى

مفهوم الاعجاز القرآني

لقد خص الله تعالى كتابه العظيم - القرآن - بالإعجاز الذي حير العقول وما كان لها أن تحيط بأسراره ، قال تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ فأن للقرآن الكريم عطاءا جديداً في كل عصر ، ومعنى متجدداً يتجلى لكل جيل ، يختلف باختلاف العقول ، ويتضح بتقدم العلوم ، ويعرف بتسلسل الحوادث والأحداث وإن مسألة الإعجاز القرآني كانت ولا تزال تشكل الأهم من مسائل أصول العقيدة التي بنيت عليها رواسيها ودارت عليها رحى الإسلام ٠ لقد احتج الله سبحانه وتعالى بإعجاز القرآن على نبوة محمد (صلي الله عليه وآله) حيث لم يصدق العرب بما جاء به محمد الله الهول) وقالوا بأنه افتراء منه وما هو بكلام ألهى وقد حاججهم بأن يأتوا بمثله أو بعشر سور مثله مفتريات أو حتى بسورة واحدة ، فأعجزها ذلك ولم يتمكنوا من معارضته حتى لجئوا إلى الافتراءات والسخافات ، ومن ثم إلى السيف والقوة وسوف يقوم البحث ببحث الإعجاز القرآني من حيث مفهومه وموافقة المعجزة لأرقى فنون العصر ، ومن ثم جهة التحدي القرآن لما لهذه المسألة من الأهمية في بحوث العلماء ودراستهم وتعدد الآراء فيها قديما وحديثا.

مفهوم المعجزة:

المفهوم اللغوي : يقول علماء اللغة : أعجزه الشيء فاته ، فهو (الفوت) ، فيقال : أعجزه الأمر الفلاني أي فاته ، وعجزه تعجيزا ثبطه أو نسبه إلى العجز فهو (وجدان العجز) . والعجز : أصله التأخر عن الشيء ، وحصوله عند عجز الأمر ، أي : مؤخره ... وصار في التعارف اسما للقصور عن فعل الشيء ، وهو ضد القدرة ، والمعجزة واحدة معجزات الأنبياء (صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين) .

المفهوم الاصطلاحي : بعد أن علمنا معنى الإعجاز لغة يهمنا أن تعلم معناه في الاصطلاح لأهمية ذلك في إثبات لكثير من الحقائق والرد على جميع الشبهات والدعاوي المفتراة ، وإليك تعريفات نبذة علماء المسلمين المتقدمين والمتأخرين:

١- قال الطبري صاحب دلائل الإمامة (ت : ق ٤) : المعجز هو أن يأتي النبي أمراً خارقاً للعادة ولقوانين الطبيعة المألوفة ، شاهدا على صدق دعواه ، وأمانته في تبليغه ، يعجز غيره عن الإتيان بمثله
٢- قال الطوسي (ت : ٤٦٠ هـ) :(أنه صار - المعجز - بالعرف عبارة عما يدل على صدق من ظهر على يده وأختص به)
٣- ومن خلال ذكره لشرط المعجز أستطاع البحث تكوين تعريف آخر للمعجز عنده وهو : أن يأتي المدعي لأمر خارق للعادة من فعل الله أو جارياً مجرى فعله ، يتعذر على الخلق جنسه ، دالا على صدقه.
٤- قال العلامة الحلي (ت : ٧٢٦ هـ) : (المعجز : هو ثبوت ما ليس بمعناد أو نفي ما هو معتاد مع خرق العادة ومطابقة الدعوى)
٥- قال السيوطي (ت : ٩١١ هـ) : (المعجزة أمر خارق للعادة ، مقرون بالتحدي ، سالم من المعرضة)
٦- قال المجلسي (ت : ١١١١ هـ المعجزة هي : (امرا تظهر بخلاف العادة من المدعي للنبوة أو الإمامة عند تحري المنكرين على وجه يدل على صدقه ، ولا يمكنهم معارضته)
٧- قال البلاغي (ت : ١٣٥٢ هـ) : (المعجز هو الذي ياتي به مدعي النبوة بعناية الله الخاصة خارقا للعادة وخارجا عن حدود القدرة البشرية وقوانين العلم والتعلم ليكون بذلك دليلا على صدق النبي وحجته في دعواه النبوة ودعوته)
٨- قال الطباطبائي (ت : ١٤١٢ هـ) : المعجز : (بمعنى الأمر الخارق للعادة الدال على تصرف ما وراء الطبيعة في عالم الطبيعة ونشأة المادة لا يمعنى الأمر المبطل لضرورة العقل)
٩- قال الخوئي (ت : ١٤١٣ هـ) : الإعجاز : (هو أن يأتي المدعي لمنصب من المناسب الإلهية بما يخرق نواميس الطبيعة ويعجز عنه غيره شاهدا على صدق دعواه)
١٠- قال الأستاذ محمد حسين الصغير : (الإعجاز بمفهوم بديهي : عبارة عن خرق لنواميس الكون ، وتغيير في قوانين الطبيعة ، وقلب للنظام الثابت في الموازين إلى نظام متحول جديد فالثابت هو الأصل الجاري على سنن الحياة ، والمتحول هو الحالة المغايرة لأنظمة المعادلات الكونية المتكافئة)،

(وبالنظر إلى هذه التعريفات نجد أنها جميعاً ناظرة إلى أمر واحد ، وإن قصر بعضها عن بيانه وهو أن المعجز أمر خارق للعادة ، لا لحكم العقل ، فلا يمكن الجمع بين النقيضين حتى في الإعجاز.

المحاضرة الثانية
شروط المعجزة

ومن مجموع هذه التعريفات وغيرها حدد العلماء عناصر أو شروط المعجزة بما يأتي : -
١- عجز الآخرين عنها
٢- إنها خرق للعادة
٣ - إنها ليست مستحيلة عقلا
٤- إنها في صدد اثبات دعوى المنصب الإلهي
٥- أن تكون من فعل الله أو جارية مجرى فعله
وإنما اعتبرنا عجز الآخرين عنها ، أي عدم قدرتهم على معارضتها ، وذلك لأن كل فعل لم يقع مع توفر الدواعي لفاعله وشدة تداعيه عليه كان قطعاً أنه لم يفعل للتعذر وكذلك اعتبار كونها خارقة للعادة ، أي خارجة عن القدرة العادية ، لأنه لو لم يكن كذلك لم يعلم أنه فعل للتصديق دون أن يكون فعل بمجرى العادة) فلا يمكن أن يستدل بطلوع الشمس من مشرقها على صدق الصادق ويمكن بطلوعها من مغربها ؛ وذلك لما فيه من خرق العادة

والذي يفيده القرآن الشريف في معنى خارق العادة وإعطاء حقيقته ما يأتي :
١- تصديق القرآن لقانون العلية العامة : فالقرآن يحكم بصحة قانون العلية العامة ، بمعنى أن سبباً من الأسباب أذا تحقق مع ما يلزمه ويكتنف به من شرائط التأثير من غير مانع لزمه وجود مسببه مترتباً عليه بأذن الله سبحانه ، وإذا وجد المسبب كشف ذلك عن تحقق سببه لا محالة
٢- إثبات القرآن ما يخرق العادة : وكذلك القرآن يقتص ويخبر عن جملة من الحوادث والوقائع لا يساعد جريان العادة المشهودة في عالم الطبيعة على نظام العلة والمعلول الموجود ، وهذه الحوادث الخارقة للعادة هي الآيات المعجزة التي ينسبها إلى عدة من الأنبياء الكرام ، كمعجزة نوح وهود وصالح فأنها أمور خارقة للعادة المستمرة في نظام الطبيعة
فعودة أشلاء الطيور المتفرقة إلى الحياة من جديد كما في قصة النبي إبراهيم ، وانقلاب العصا ثعبانا بأمر الله وتلقف ما يأفك السحر ثم رجوعها عصا على حالها الأول كما في قصة النبي موسى (ع) وشفاء الأبرص والأعمى والأكمه بدون قانون أو علم وهو خارج عن حدود الطب كما في قصة عيسى وأن يخرج رجل أمي لم يتعلم ساعة من عمره ولا نشأ في بلد فيه العلماء فيقرأ كتاباً بهر بفصاحته كل كلام فصيح فهذه الحوادث خارقة للعادة ،

وذلك لأن الله تعالى حاكم على قوانين الطبيعة لا محكوم لها ، فلا يكون من العسير حدوث مثل هذه القضايا عليه

٣- القرآن يسند ما أسند إلى العلة المادية إلى الله : ثم إن القرآن كما يثبت بين الأشياء العلية والمعلولية ويصدق سببية البعض للبعض كذلك يسند الأمر في الكل إلى الله سبحانه

المحاضرة الثالثة
الفرق بين المعجزة والسحر

١- المعجزة خارقة للعادة : أي أنها تأتي مخالفة لقوانين الكون ، فهي من الله تعالى ، وأما السحر فإنه يحدث بحسب قوانين يمكن تعلمها فهو من الساحر .

٢- المعجزة لا ينتج عنها إلا الخير ، أما السحر فلا يصدر منه الخير

٣- المعجزة لا يمكن إبطالها ، أما السحر فإنه يمكن إبطاله ، ومعلوم أن السحر لا يتم إلا بالاستعانة بالشياطين والتقرب لهم .

٤- المعجزة تجري على يد النبي ، وهو خير الناس علماً وعملاً وخلقاً ، والسحر يجري على يد الساحر ، وهو شر الناس علماً وعملاً وخلقا ، والنفوس تنفر منه ومن صاحبه .

الفرق بين المعجزة والكرامة

١- أن المعجزة مبنية على الإظهار والاشتهار ، وأن صاحبها (وهو النبي) مأمور بإظهارها ، بينما الكرامة مبناها على الكتم والستر ، وصاحبها (وهو الولي) مأمور بكتمانها

٢- المعجزة تكون مقرونة بالتحدي وبدعوى النبوة ، أما الكرامة فغير مقرونة بالتحدي ، ولا بدعوى فضيلة ولا منزلة عند الله .

٣- ثمرة المعجزة تعود بالنفع والفائدة على الغير ، والكرامة في الغالب خاصة بصاحبها

٤- المعجزة تكون بجميع خوارق العادات ، والكرامة تختص ببعضها .

٥ . المعجزات خاصة بالأنبياء ، والكرامات تكون للأولياء .

٦- الأنبياء يحتجون بمعجزاتهم على المشركين لأن قلوبهم قاسية ، والأولياء يحتجون بالكرامة على نفوسهم حتى تطمئن وتوقن ولا تضطرب .

المعجزة الحسية والمعجزة والمعنوية والفرق بينهما :

المعجزة الحسية : هي معجزة حسية وقتية تدرك بالحس ، وتشاهد بالعيان ، من ذلك معجزات الأنبياء السابقين عليهم السلام فموسى عليه السلام أيده الله تعالى بالعصا واليد البيضاء ، والآيات التسع ، وعيسى عليه السلام ايده الله تعالى بإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله

وتمتاز المعجزة الحسية بعدة خصائص :

١-حجة على من عاصرها وشاهدها . أما من لم يشاهدها فهي حجة عليه في حالة ما إذا نقلت إليه بالتواتر ، أي نقلها عدد من الناس يؤمن اتفاقهم على الكذب ، ولكنها تبقى في مرتبة دون حجة المشاهدة .

٢- تضعف حجية المعجزة الحسية بمضى الزمن ، وذلك نظرا لعدم توافر سلسلة النقل المتواترة و هذا ما حصل في الواقع

٣. المعجزة الحسية مرتبطة بالرسول ، وبالتالي تذهب بذهابه .

٤- هي خرق للمألوف من سنن الكون الحسية .

المعجزة المعنوية

عقلية معنوية دائمية : وهي ما تخضع لها العقول ، وتذعن لها البصائر ، إذ هي تخاطب العقل البشري أيا كان وأنـي كـان .... فهي خالدة باقية وعامة شاملة . أنها معجزة حاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد بن الا وهي القرآن الكريم . ومن خصائصها أنها

١. المعجزة الفكرية تخاطب العقل الذي يحاكم الأمور ، بما في ذلك الأمور الحسية .

٢-المعجزة الفكرية حجة على من عاصر الرسول وعلى من لم يعاصر .

٣-تتصاعد حجية المعجزة الفكرية بتصاعد الوعي البشري ، لأننا لدرك منها بقدر علمنا ووعينا وقوة إدرا كنا .

٤- المعجزة الفكرية غير مرتبطة بوجود الرسول ، وتبقى موجودة بوجود الرسالة
٥- هي خرق للمألوف في عالم الفكر والمعنى .

. نظرا لكون القرآن الكريم معجزة عقلية فكرية ، ونظراً للانفجار المعرفي في زمننا الحاضر فقد تجلت وجوه المعجزة القرانية بشكل لم يسبق له مثيل في العصور الإسلامية السابقة ؛ فهناك الآن الإعجاز البياني بنظرات معاصرة ، والعلمي ، والغيبي ، والتاريخي ، والتشريعي ، والتربوي ، والعددي ... الخ

المحاضرة الرابعة
طبيعة المعجزة واهميتها

المعجزة ضرورة حتمية للتصديق بالنبوة ، فلا بد لمدعي النبوة منها ، وهذا ما أشار إليه السيد الخوني (قده) : (إنما يكون الإعجاز دليلاً على صدق ، وما دام المعجز فيه خرق لنواميس الطبيعة ، فلا يمكن أن يقع من أحد إلا بعناية من الله سبحانه وتعالى ، وأقدار منه ، فلو كان مدعي النبوة كاذبا في دعواه ، كان أقداره على المعجز من قبل إغراء بالجهل وإشارة بالباطل ، وذلك محال على الحكيم تعالى فإذا ظهرت المعجزة على يده كانت دالة على صدقه ، وكاشفة عن رضا الحق سبحانه بنبوته))

وخير المعجزات ما شابه أرقى فنون العصير وإبداعاته ، وأن علماء أي صنعة أعرف بخصوصياتها ، وأكثر إحاطة بمزاياها ، فهم يميزون بين ما يعجز البشر عن الإتيان بمثله وين ما يمكنهم ، ولذلك فالعلماء اسرع تصديقا بالمعجز . والمجتمع العربي الذي انطلقت الدعوة الإسلامية من أصوله ، فصدح النبي بالذكر الحكيم وهو بين ظهراني العرب الذين برعوا في البلاغة ، وامتازوا بالفصاحة وبلغت الذروة في فنون الأدب وذلك ما أكدته مصادر التاريخ الأولية ومدونات الأدب وما نقلته لنا من النوادي والأسواق الأدبية و الشعرية والخطابية ومن الشواهد أن النابغة الذبياني هو الحكم في شعر الشعراء ، يأتي سوق عكاظ في الموسم فتضرب له قبة ، فتأتيه الشعراء تعرض عليه أشعارها ليحكم فيها . ومن مجمل هذه الشواهد تستدل إلى أن ذروة ما وصلت الفصاحة والبلاغة العربية كانت

في الحقبة التي تزامنت ونزول القرآن الكريم ويجمع العلماء المتخصصون في اللغات أن اللغة العربية فاقت اللغات الأخرى في هذا الجانب الأساسي فلذا اقتضت الحكمة أن يخص الله تعالى بني الإسلام بمعجزة البيان وبلاغة القرآن فعلم كل إعرابي أن هذا الكلام فوق كلام المخلوق وانه خارج ببلاغته عن طوق البشر فهو كلام الله جل وعلا ، واعترف بذلك كل عربي غير معاند ومما يؤكد هذا ما روي عن ابن السكيت اله قال لأبي الحسن علي بن موسى الرضا (ع) لماذا بعث الله موسى بن عمران (ع) بالعصا ، ويده البيضاء وآلة السحر ؟ وبعث عيسى (ع) بآلة الطب ؟ وبعث محمد (ص) بالكلام والخطب ؟ فقال أبو الحسن (ع) : (أن الله تعالى لما بعث موسى (ع) كان الغالب على أهل عصره السحر ، فأتاهم من عند الله بما لم يكن في وسعهم مثله ، وما أبطل به سحرهم ، واثبت به الحجة عليهم ، وان الله بعث عيسى (ع) في وقت ظهرت فيه الأمانات واحتاج الناس إلى الطب ، فأتاهم من عند الله بما لم يكن عندهم مثله ، وبما أحيى به الموتى ، وابرأ الأكمة والأبرص بإذن الله ، واثبت به الحجة عليهم ، وان الله بعث محمد (ص) في وقت كان الغالب على أهل عصره الخطب والكلام - وأظنه قال الشعر - فأتاهم من عند الله من مواعظه وحكمه ما أبطل به قولهم واثبت الحجة عليهم) . ويفهم من هذه الرواية أن فلسفة تنوع المعجزات تدور مدار الخاصية الغالبة على أهل عصر من يجري الله تعالى على يديه المعجزة ، لتكون أبلغ في التأثير ، وأظهر في التحدي

المحاضرة الخامسة

حاجة الناس إلى الرسل

إن هداية الناس إلى طريق الحق ، وإيصالهم إلى الهدف والغاية ، التي خلقهم الله لأجلها ، متوقف على إرسال الأنبياء لهم ، وبدون ذلك يبقى الإنسان قاصرا عن بلوغ الغاية ، وهذا لا كلام فيه ولا إشكال . إنما وقع الخلاف بين المسلمين في وجوب بعثة الأنبياء وعدمه ، فاختار العدلية وجوبه ، بينما ذهب الأشاعرة إلى حسنه وعدم وجوبه عليه تعالى ، دون أن يتمكنوا من إنكار حسنه ، لقولهم بأن الحسن والقبح ليسا عقليين ، وجوزوا ، تبعا لذلك ، أن يترك الله تعالى عباده بدون هداية . واستدل العدلية على وجوب البعثة بقاعدة اللطف ، ولقد غرف اللطف (اللطف ما يقرب العبد إلى الطاعة ويبعده عن المعصية بحيث لا يؤدي إلى الإلجاء . وحاصل الدليل : ان الغرض من خلق الإنسان ثابت ، إذ أن فعله تعالى منزه عن العبث واللغو ، وقد بين هذه الحقيقة في قوله تعالى (وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين ، لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين) . وقوله تعالى (وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لاعبين ، ما خلقناهما إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون) . وفي ما يتعلق بحق الإنسان ، والله تعالى خلقه لهدف ، ولم يخلقه عبثا ، قال تعالى (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون) ، إلا أن تحقق الغرض ونفي العبث عنه تعالى ، متوقف على اللطف بعباده وهدايتهم ، فاللطف واجب عليه تعالى ، وإلا نقض غرضه ولما كان اللطف بالعباد ، إنما يحصل بواسطة إرسال الأنبياء ، الدين يحلون الناس على الطريق الصحيح ، في نظم حياتهم الاجتماعية ، والسياسية ، والتربوية ، والاقتصادية ، وتوجيههم نحو العبادة الحقة له تعالى ، ليقربهم منه ، وقد أشار تعالى إلى هذه الحقيقة بقوله (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإنته ما يشاء إنه عزيز حكيم)

وقد بين الإمام الصادق الى الحكمة من بعثة الرسل ، وقد ساله رجل فقال(لاي شي بعث الله الأنبياء والرسل إلى الناس؟ فقال لئلا يكون الناس على الله حجة بعد الرسل ولئلا يقولوا ما جاءنا من بشير ولانذير ولتكون حجة الله عليهم).

ولولا ذلك لادى إلى نقض الغرض الذي خلق الإنسان لأجله ، كان إرسال الأيام واجبا عقلا ومما يدل على وجوب اللطف عليه تعالى ، وأنه عقلي خلافا لما رسمه الأشاعرة ، وأنه لا بد من أن يقطع الحجة على الناس ، قوله تعالى : (ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزي)

وقد استدل منكرو وجوب بعثة الانبياء

الدليل الأول : إن ما يأتي به النبي لا يخلو أمره من أن يكون موافقا لأحكام العقل أو مخالفا لها والأول لا فائدة فيه ، لأن المفروض أن العمل مدرك له ، فهو في غنى من إرسال النبي . وأما الثاني فيجب رفضه وعدم القبول به ، لأن قبول ما كان مخالفا لأحكام العقل خروج من حد الإنسانية .
وجوابه : قد اظهر مما تقدم أن العقل قاصر من إدراك جميع الحقائق الإنسانية والتكوينية سواء منها ما يرتبط بمصالحه ومفاسده ، أو ما يرتبط بسعادته وكمال انسانيته فالاعتماد على العقل وحده في إدراك جميع ما يرتبط بالإنسان لا يؤدي إلى نتيجة ما لم يؤيد ذلك بـــــالوحي ،فجواز عدم البعثة نقض للغرض والحكيم منزه عنه
الدليل الثاني :
إن الالتزام بلزوم البعثة يعني الزام الناس بإتباع شخص منهم والرجوع إليه ، وهو أمر فبيح لدى العقلاء ، خصوصا إذاوصلت هذه التبعية إلى التسليم بكل ما يقوله النبي

وحاصله أن الرسول لا بد وأن يكون من صنف البشر ، ليتمكن من التعامل معهم من هذه الجهة ، وليكون قدوة وأسوة لهم ، يمكنهم من أن يعملوا مثل ما يعمل ، ولو كان من سنخ موجودات أخرى لكانت حجتهم قوية في مقابله ، حيث يمكنهم الزعم بأن ما يقوم به خارج عن قدرتهم من حيث هم بشر ، وأن منشأ قدرته على فعله هو طبيعته الخاصة التي لم تتحقق فيهم .

المحاضرة السادسة

الإعجاز القرآني ودفع الشبهات عنه

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾.

انطلاقا من الآية المباركة نتحدث في محورين:

المحور الأول: موطن إعجاز القرآن الكريم:

هذا المحور يتلخص في سؤال وهو: هل أن إعجاز القرآن الكريم في لغته أم في مضمونه، هل أن موطن ومظهر الإعجاز في القرآن الكريم هو في مستوى البلاغة والفن الأدبي الذي يتمتع به القرآن الكريم، أو أن إعجاز القرآن يكمن في مضامينه وفي معانيه التي جاءت لهداية البشرية؟

عندما تلاحظ تراث التفسير وتراجع كتب المفسرين، مثل كتاب التبيان للشيخ الطوسي، كتاب البيان للشيخ الطبرسي، كتاب الكشاف للزمخشري، كتاب التفسير الكبير للرازي، تجد كثير من التفاسير الإسلامية التي كتبها العلماء - علماء المسلمين - تركز على اللغة، لغة القرآن، أدب القرآن، بلاغة القرآن، كأن إعجاز القرآن هو في لغته، وفي نفسه الأدبي، تجد أن كتب التفسير تركز على المادة اللغوية والأدبية للقرآن، فإذا أخذت نظرة على هذه التفاسير تجد أنها تركز على إعجاز المادة الأدبية للقرآن الكريم، وهذه النظرة غير صحيحة، القرآن بلاغته بلاغة إعجازية، ولكن ليس إعجاز القرآن في بلاغته أو مادته الأدبية.

هناك عدة وجوه لبيان أن إعجاز القرآن ليس في مادته الأدبية أبدا:

الوجه الأول:

أن القرآن معجزة للنبي بالنسبة للبشرية كلها، ما هي معجزة النبي التي بها يثبت نبوته أمام البشرية كلها، هي القرآن الكريم، وإلا فإن المعجزات الأخرى هي معجزات انقرضت، مثلا أن النبي سبحت في كفه الحصى، أنه شق له القمر، أنه كلم الشجرة

وما الكليم ما العصا وما الحجر في كفه تسبح الحصاة
فهو بسبابته شق القمر فهي لكل ممكن حياة

هذه الآيات انصرمت لا تصلح لأن تكون معجزات للبشرية كلها، إذن معجزة النبي للبشرية كلها في كل زمان وفي كل مكان، هو القرآن الكريم، لأنه المعجزة الباقية، وحتى يكون القرآن معجزة للكل، لابد أن يكون معجزة في مضمونه، وإلا كيف يكون معجزة بالنسبة لغير العرب، كيف يصبح القرآن معجزة للنبي أمام الأقوام الأخرى، أمام الإنجليز، الهنود، الفرس، الذين لا يعرفون اللغة العربية، ولا يتذوقون بلاغتها، ولا يتذوقون المادة الأدبية في اللغة العربية، لو كانت معجزة القرآن في لغته، وفي بلاغته، لانحصر إعجازه على العرب، مع أن القرآن معجزة لجميع البشرية ﴿لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ القرآن يقول: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾.

الوجه الثاني:
عندما تلاحظ سور القرآن فهي تتفاوت في المستوى البلاغي، القرآن ليس كله ذا مستوى واحد من البلاغة والمادة الأدبية الرائعة، تتفاوت آياته في الروعة، في البلاغة، بحسب مقتضى الحال، فعندما تقارن بين سورة ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ * سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ * وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ * فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ وبين سورة الرحمن ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾ ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾﴿فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ﴾ ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ ﴿بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ المستوى البلاغي هنا يختلف كثيرا عن مستوى ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾.

إذن معناه ليس المستوى الأدبي والبلاغي للقرآن واحدا، كي يكون القرآن إعجازا في تمام سوره وآياته، بل الإعجاز البلاغي يتفاوت من سورة إلى أخرى، وإن كان المقام يختلف، هو عندما يتحدث في سورة الرحمن من أجل ترغيب الناس في الجنان والطاعة، يغرق القرآن في وصف الجنان، ونعيمها، ومحاسنها، كي يزيد الإنسان رغبة في الطاعة، لكن عندما يأتي إلى قضية أبو لهب، فهو ليس في مقام

الترغيب، بل في مقام التقريع والتوبيخ، فلذلك لا يغرق في الوصف، بل يختصر في المقال، إذن اختلاف المقام اقتضى اختلاف المقال، تارة يكون في مقام الترغيب فيغرق في الوصف، ويذكر أوصاف رائعة، وتارة يكون في مقام التقريع فيختصر ويقتصر على لغة النبذ والتقريع والتوبيخ، كما هو في سورة ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾.

الوجه الثالث:
مسألة تاريخية النص القرآني، هناك قسم من الآيات القرآنية تراث تاريخي، يعني أن قسم من الآيات القرآنية تحدث بلغة تنسجم مع ثقافة ذلك العصر، ولا ينسجم مع ثقافة عصرنا هذا، قسم من الآيات القرآنية ينسجم مع لغة معينة، وثقافة معينة، وهي ثقافة تلك العصور والأزمنة، ولا ينسجم مع الثقافة اللغوية لحضارتنا الآن.

مثلا: عندما يتحدث القرآن عن العذاب وعن النعيم، عندما يصف العذاب فإنه يصفه بأوصاف تنسجم مع ثقافة ذلك العصر، مثلا عندما يقول: ﴿انطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ * لا ظَلِيلٍ وَلا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ * إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ * كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ﴾ يشبه لهب جهنم بالجمال الصفر، لهب جهنم ينطلق دفعات، دفعات ﴿كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ﴾ هذا التشبيه ينسجم مع لغة ذلك العصر، لغة الجمال والإبل، ولا ينسجم مع لغة هذا العصر.

مثلا: قوله تعالى يصف شجرة الزقوم ﴿أَذَلِكَ خَيْرٌ نزلا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ﴾ ثم يقول ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ * طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ نحن لم نرى رؤوس الشياطين، فكيف نعرف أن ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ هذا ينسجم مع ثقافة ذلك العصر، فقد كانوا يتصلون بالجن ويرونهم، ويطلعون على كيفية رؤوس شياطين الجن، فيأتي القرآن يحاكي ثقافتهم، يقول لهم بأن طلع هذه الشجرة يشبه رؤوس شياطين الجن، إذا رأيتموها أو اطلعتم عليها، فهو ينسجم مع ثقافة ذلك العصر ولا ينسجم مع ثقافتنا.

هذا بالنسبة لآيات الجحيم، وآيات النعيم بنفس الطريقة ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ لأن الطريقة المتعارفة في تلك الأزمنة أن يجعلوا العروش التي يجلسون عليها على النهر، فجاءت الآية تحاكي تلك الصورة ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أو عندما يقول تعالى: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾ ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ ﴿مُدْهَامَّتَانِ﴾ ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ النخل متوفر في البيئة العربية، والرمان متوفر في قسم من الأرض ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾ ﴿حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ الخيام منسجم مع ثقافة ذلك العصر، الذين كانوا يعيشون ويقطنون أجواء الخيام ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ﴾.

إذن اللغة التي استخدمها القرآن في وصف العذاب، وفي وصف النعيم، لغة تنسجم مع ثقافة ذلك العصر، تنسجم مع الثقافة الأدبية، واللغة السائدة في ذلك العصر، ولا تنسجم مع ثقافة جميع العصور، ومنها عصرنا هذا، مما يؤكد لنا أن إعجاز القرآن الكريم ليس في لغته، وليس في صياغته، وإنما إعجاز القرآن في مضمونه، لأن لغة القرآن وصياغته أحيانا تكون صياغة قديمة، يعني أنها منسجمة مع تاريخ وحقبة وحضارة معينة، وهذا ليس نقصا في القرآن، بل لأجل أن يقرب أفكاره ومفاهيمه للعرب، للبدو الذين كانوا معاصرين له، استخدم لغتهم، وثقافتهم، ورموزهم، وهذا منسجم مع بلاغة القرآن، وليس نقصا في القرآن الكريم.

ولذلك نجد القرآن يؤكد على أن إعجازه ليس في لغته، يقول القرآن الكريم: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ معنى الآية أنه ليس مهم كان عربيا أو أعجمي، المهم أنه هدى وشفاء، المهم هو أهداف القرآن، مضامين القرآن، لغته هذه لغة جاءت لحيثيات معينة، وعوامل معينة، لا أن عظمته في لغته ﴿أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾.

وفي آية أخرى يقول: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ * فَقَرَأَهُ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ يعني قد يتحيز العرب لعنصريتهم العربية، كما يتحيز الفرس لعنصريتهم الفارسية والإنجليز والهنود لعنصريتهم الهندية، قد يتحيز العرب لعنصريتهم العربية فلا يؤمنون بالقرآن لأنه نزل بغير اللغة العربية ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ * فَقَرَأَهُ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ﴾.

إذن نريد أن نخلص في هذا المحور إلى هذه النتيجة: أن إعجاز القرآن في مضمونه وليس في لغته، ونحن عندما نطرحها ليس من أجل بحث فكري مترف، لا بل نحن نسجل ملاحظة وعتاب على تراثنا الإسلامي في مجال التفسير، نحن في حاجة إلى تفاسير تتحدث عن مضامين القرآن، لا أن يأتي مفسر يتكلم في خمس صفحات أو ست صفحات حول لفظ القرآن، لماذا قال كذا ولماذا لم يقل كذا، لماذا ذكر هذا اللفظ ولماذا لم يذكر لفظا آخر، يعني أنه يحصر البحث في البحث اللغوي، والأدبي، هذا يضيع من عظمة أهداف القرآن، ويخنق أهداف القرآن ومضامينه.

نحن نحتاج إلى أبحاث عن عظمة ودقة مضامين القرآن، والأهداف السامية التي من أجلها نزل القرآن ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآن يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَم﴾.

المحور الثاني: في دفع بعض الشبهات المطروحة حول مضمون القرآن الكريم:
بما أننا قلنا بأن عظمة القرآن في مضامينه وفي أهدافه، هناك بعض الشبهات حول مضامين القرآن، وهي شبهات كثيرة يطرحها الحداثيون، وهنا نذكر شبهتين:

الشبهة الأولى: أن هناك تهافت بين مضامين القرآن.
هناك بعض الآيات تتحدث عن أن القرآن نزل كله على النبي محمد في ليلة القدر ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ أو قوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ يعني أن القرآن الكريم نزل كله في ليلة القدر، وهناك بعض الآيات لا تنسجم مع هذا، وهي آيات التفاصيل، مثلا: قوله تعالى خطابا للنبي: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ

اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ﴾ هذه الآية تتحدث عن حادثة حدثت وتخاطب النبي على تلك الحادثة، إذن هذه الآية نزلت الآن بعد حدوث الحادثة، وليس أنها نزلت قبل عشرين سنة.

أو مثلا قوله تعالى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ﴾ هذه الآية ليس لها معنى أن تنزل قبل أن يأذن لهم، هذه الآية نزلت بعد أن أذن لهم ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾ هذه الآية تعلق على حدث معين.

مثلا عندما يقول تبارك وتعالى: ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ تعلق على حادثة حدثت، عبدالله ابن أبي سلول كان رأس المنافقين في المدينة المنورة، جاء إلى النبي فأراد النبي أن يعاتبه، قال: يا ابن أبي سلول أخبرني الله أنك تثير الفتنة بين أبناء المسلمين، وتقول كذا وكذا، فقال: الله مشتبه فلم يصدر مني ذلك، النبي أظهر له أنه صادق، وأنه قبل كلامه، لما خرج من عند النبي، قال: انظروا إلى فلان الله يقول له شيء ويصدقه، وأنا أقول له شيء ويصدقني، إنما هو أذن، الأذن هو الذي كلما سمع كلاما صدقه وآمن به، فنزلت هذه الآية ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ يعني إذا صدقكم، وأظهر أنه يصدقكم، فهذا خير لكم لأنه يجذب قلوبكم إليه، ويستقطبكم إليه، يؤمن لله ويؤمن للمؤمنين، إذن هذه الآية تعلق على حادثة.

الآيات التي نزلت تعلق على حوادث معينة، إذن هي لم تنزل في ليلة القدر، وإنما نزلت بعد حدوث هذه الحوادث، لا أنها نزلت في ليلة القدر، إذن كيف نوفق بين آيات القرآن الكريم، هذه الآيات التي جاءت تعلق على حوادث معينة، كما في قوله تعالى: ﴿لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ نزلت في حادثة معينة، أن النبي كان يقرأ القرآن، الله تبارك وتعالى يقول لا تقرأ القرآن إلا إذا نحن أنزلناه ﴿لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ هذه الآيات التي تتحدث وتعلق على حوادث معينة، إن كانت نزلت من ليلة القدر فنزولها لغو، لأن الحوادث لم تحدث بعد، وإن لم تكن نزلت ليلة القدر فهي تتنافى مع قوله تعالى ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ

الْقَدْرِ﴾ أو ظاهرة في أن القرآن نزل كله في ليلة القدر، فكيف نحل هذا الإشكال؟ حل هذا الإشكال بمرحلة الإجمال ومرحلة التفصيل.

الفلاسفة يقولون: كل الكون وليس القرآن فقط، مر بمرحلتين: مرحلة إجمال، ومرحلة تفصيل، ويعود مرة أخرى لمرحلة الإجمال.

هذا الكون الذي تراه أمامك، سماء، أرض، نبات، إنسان، شمس، قمر، هذه كثرات، وهذه الكثرات كانت واحد، ثم صارت متعددة، هذا الكون كله كان وجودا واحدا، لم يكن سماء ولا أرض ولا قمر ولا إنسان، هذا الكون كان موجودا بشكل إجمالي، ذلك الوجود الإجمالي توزع وصار وجود تفصيلي، فصار سماء وأرض وشمس وقمر وإنسان وحيوان ونبات، انتقل من مرحلة الوجود الواحد الإجمالي إلى مرحلة الوجود التفصيلي، انتقل من الوحدة إلى الكثرة، ويعود مرة ثانية يتحول إلى وجود واحد وذلك في يوم القيامة، انظر إلى القرآن الكريم ماذا يقول: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ﴾ يعني أن هذه الكثرات التي نراها سوف تعود وتصبح وجود واحد ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾ هذا يسمى في الفلسفة قوس النزول وقوس الصعود، قوس النزول يعني أن الوجود الواحد يتوزع ويصبح كثير، قوس الصعود يعني أن هذا الوجود الكثير يعود ويصبح وجود واحد، الكون كله مر بإجمال وبتفصيل.

حتى الإنسان مر بإجمال وتفصيل، أنت كنت نطفة ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ يعني أن تلك النطفة إنسان، تلك النطفة التي قذفها الزوج في رحم زوجته كانت إنسان ﴿جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً﴾ يعني أن تلك النطفة إنسان فيه عقل ومشاعر وعواطف وجسد، يعني إنسان كان كله مختصر في نطفة حقيرة، هذه النطفة كانت وجودا إجماليا للإنسان، ثم تحولت هذه النطفة إلى وجود تفصيلي ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ تحول من إجمال إلى تفصيل، صار إنسان وصار عنده شباب، وشيخوخة وكهولة،

فحول الإجمال إلى تفصيل، ثم يرجع للإجمال مرة أخرى، هذا الإنسان بما فيه من كبرياء وطغيان يرجع ويتحول إلى ذرة تراب، من الإجمال صار تفصيل، ومن التفصيل يرجع إلى الإجمال مرة أخرى، يذوب الجسم ويتحول إلى قطعة من التراب، ذرة من التراب.

إذن حتى الإنسان يمر بإجمال وتفصيل ويعود إلى الإجمال، القرآن كذلك مر بمرحلتين: مرحلة إجمال، ومرحلة تفصيل، القرآن الكريم يخبر عن نفسه يقول: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ يعني أن هذا القرآن كان كله كتاب بمضامين واحدة، لا توجد فيه تفاصيل عن المنافقين، ولا عن ما حدث في المدينة، ولا عن ما حدث في مكة، كان القرآن خاليا من التفاصيل، كان مضامين عامة، إجمالية، خالية من التفاصيل، كان مضامين إجمالية موجود في مكان معين ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ * لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ كان موجودا وجودا إجماليا، ونزل على النبي محمد ليلة القدر نزولا إجماليا محكما لا تفصيل فيه، نزل بوجوده الإجمالي ليلة القدر على قلب النبي ثم بعدها بدأ ينزل بوجوده التفصيلي الذي يرتبط بالحوادث والوقائع ويعلق عليها ويتضمن خطابا لها.

إذن القرآن مر بمرحلة الإجمال ومرحلة التفصيل، يعني أنه مر بالحركة التي مر بها الكون بأسره، وبالنتيجة لا يوجد تهافت بين الآية التي تقول: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ وبين الآيات التي تتحدث عن التفاصيل، مثل قوله تعالى: ﴿لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾.

الشبهة الثانية: أن القرآن يكرر السماوات والأرض دائما.
﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾ ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ماهي خصوصية الأرض؟ هل القرآن يتحدث عن هذه السماء التي نراها، أم يتحدث عن الكون كله؟ نعم هو يتحدث عن الكون كله ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ كما يقول الله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ

وَالْأَرْضِ﴾ يعني الكون كله، إذا كان القرآن يتحدث عن الكون كله، فما قيمة الأرض في الكون كله، عندما تقرأ علم الفلك تجد أن الأرض واحد بالمليار إلى هذا الكون كله، الأرض كوكب صغير في هذا الفضاء اللامتناهي، ما هي قيمة الأرض؟ أنت تتحدث عن الكون كله، ذكر الأرض يكون ذكرا مستهجن، يعني كأن يأتي شخص ويقول أنا بطل، قلت ألف رجل وذبابة، فبعد أن قال بأنه قتل ألف رجل فما هي قيمة الذبابة! ليس لها قيمة بعد أن قتلت ألف رجل فلا قيمة لقتل الذبابة، أنت تقول: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ بعد أن تذكر السماوات فليس هناك قيمة لأن تذكر الأرض، لأن نسبة الأرض إلى السماوات، نسبة ذبابة إلى ألف رجل، نسبة ذرة إلى الأرض كلها، نسبة واحد بالمليار إلى الكون كله، ما قيمة ذكر الأرض بعد ذكر السماوات كلها، إذن ما هو وجه خصوصية الأرض؟

بعض الحداثيين يحاول أن يسجل شبهة على القرآن الكريم أن القرآن يعيش ثقافة بدوية، وهذه الثقافة البدوية لا تعرف غير الأرض والسماء التي فوق الأرض، لذلك دائما يذكر الأرض لأن هذه الثقافة التي عاشها القرآن لم تكن تعرف أفق أرحب من هذا الأفق وأوسع منه، لذلك كانت تركز على هذا الكوكب الصغير ألا وهو كوكب الأرض.

فما هو السر في ذكر الأرض؟
الأرض لا خصوصية لها إلا أنها منشأ الإنسان، يعني أن القرآن يذكر الأرض لأنها رمز للإنسان، وإلا هي كأرض فليس لها خصوصية، فالله عندما يذكر الأرض يقصد الإنسان الذي نشأ من هذه الأرض، الأرض في القرآن رمز للإنسان وكناية عنه لأنه الإنسان مخلوق منها ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ الأرض كناية عن الإنسان، والإنسان أعظم المخلوقات، أعظم من السماء والكواكب، مخلوق معقد، هذا الإنسان أكثر عقدة من جميع المخلوقات، هذا الإنسان أعظم المخلوقات، لذلك يذكر القرآن أن الهدف من المخلوقات كلها هو هذا الإنسان ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ﴾ ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ الإنسان هو هدف الوجود.

﴿خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ كل الكون والوجود خدم للإنسان، الله خلق هذا الوجود حتى يأتي يوم يسيطر فيه الإنسان على الوجود كله بسمائه وأرضه ومجموعاته الشمسية وذراته ومجراته، خلق الكون لكي يأتي يوم يسيطر فيه الإنسان على الكون بأسره، فالهدف من الكون هو الإنسان، والإنسان أعظم المخلوقات، لأنه يمتلك القدرة على الإبداع، والعقل اللغوي، هذا ما يركز عليه الفلاسفة وعلماء النفس، الإنسان يتميز على كل المخلوقات بخصلتين: القدرة على الإبداع، والعقل اللغوي، هناك قسم في الإنسان يسمونه الذاكرة اللغوية، قدرة الإنسان على أن يبرز أفكاره، بلغة، بلفظ، جميع المخلوقات لا تمتلك عقل لغوي، لا تستطيع التعبير عن أفكارها بلغة أو إشارة أو بلفظ معين.

إذن الإنسان يمتلك القدرة على الإبداع، ويمتلك عقل لغوي، فلذلك هو مفضل على الكون، وهو الهدف لجميع الكون، من أجل ذلك عندما يذكر القرآن الأرض لا لأنها تراب وجبال وفيها نفط وملح ومعادن، بل لأن الأرض موطن الإنسان، فالأرض كناية عن الإنسان، الإنسان من الأرض وإلى الأرض، وهذا ما يؤكده الفلاسفة، مثل صدر المتألهين الشيرازي.

العنصر الأرضي له دخالة في عقل الإنسان، يعني كون الإنسان خلق من الأرض ﴿إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِن طِينٍ﴾ يعني أنه لا يصير بشرا، ولا يمتلك عقل، ولا يمتلك قدرة على الإبداع، ولا يمتلك عقل لغوي حتى يخلق من الطين، الطين له دخل في إنسانية الإنسان، وفي كينونة الإنسان ﴿إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِن طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ لماذا ﴿فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ لأنه أشرف منكم عنصرا، خلق من عنصر يساعده على الإبداع، وعلى العقل اللغوي، وهذا الذي يسميه صدر المتألهين الحركة الجوهرية في صميم المادة.

فوجود الإنسان من الأرض هو الذي جعل الإنسان يمتلك القدرة على الإبداع، وجعل الإنسان يمتلك العقل اللغوي، فالأرض عظيمة لعظمة هذا الإنسان، وجليلة بجلالة هذا الإنسان، لذلك نص القرآن على ذكر الأرض حين ذكر السماوات، ولذلك نرى أن القرآن حريص على ربط الإنسان بالأرض ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ بعض الشعراء يترجم هذا المقال القرآني ويقول:

الأرض معقلنا وكانت أمنا فيها مقابرنا ومنها نولد

إذن هذه التربة الطينية التي نمشي عليها عظيمة لأنها تحمل عظمة الإنسان.

أتحسب أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

لا تستصغر هذه التربة، ولا تحتقرها، هي عظيمة بعظمة الإنسان، هي مصدر عظمة الإنسان، وهي مصدر طغيانه وكبريائه، لذلك جعلت الأرض مسجدا وطهورا، ورد عن النبي محمد : "جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا" مسجد أي يسجد عليها، لا يجوز السجود إلا على الأرض أو ما هو من أجزاء الأرض، مما لا يؤكل ولا يلبس، طهور يعني يتيمم به إذا لم يجد الإنسان الماء "جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا" لأنها تعبر عن عظمة الإنسان، فإذا سجد عليها الإنسان تذكر أصله ومنبته وقبره ومنتهاه، فهو يتذكر مبدأه ومنتهاه عندما يسجد على هذه التربة، لأن فيها دلالة وإيحاء بالعظمة، وفيها إيحاء بالإنسانية.

المحاضرة السابعة

الفارق بين المعجزة والسبق العلمي

إذا كان اتفاق العلماء قد جرى تسالماً على أن المعجزة هي أمر غير مألوف يجري على يد النبي الذي هو من البشر ؛ فإنه قد يخال بعضهم بأن العلم موافق للمعجزة أو شبيه لها من حيث إن السبق العلمي يرد على يد بعض البشر أيضا وهو شأن غير مألوف أو سابقاً لدى الناس ولا يمكن لأي أحد أن يأتي به إلا العالم حصراً ؛ وعليه فالعلم والمعجزة على حد سواء من حيث اتفاقهما في جملة من السمات المشتركة بينهما ؛ فهما غير مألوفين ويردان على يد بعض البشر دون سائرهم ، فضلاً أنه لايمكن لكل أحد أن يأتي بمثلهما ؛ وعليه فـ ((إن المعجزات شأنها شأن كثير من المخترعات ؛ فإذا كان فيها طرافة أو دهشة أو عجب فكذلك آثار العلم ومدهشاته فيما نرى ونسمع)) اليوم ؛ فإن فيها الطرافة والدهشة والعجب ذاتها ؛ وبهذا فلا فارق بين المعجزة والمخترعات العلمية أو السبق العلمي بالمحصلة .

نقول إن المعجزة تباين السبق العلمي ، ولاتتفق معه البتة ؛ وأن علة هذه المباينة وداعي عدم الاتفاق هذا يكمن في المفاصل الآتية :١- أن العلم يقوم على اساس توظيف القوانين الطبيعية السائدة من أجل الوصول إلى نتاج معرفي معين ، على حين أن المعجزة تقوم على أساس خرق القوانين الطبيعية السائدة ونقضها

٢- قد يشترك جملة من العلماء لإنتاج قضية معينة إذ كل منهم يسهم في، ذلك على وفق تخصصه العلمي وخبرته المعرفية ،على حين أن مثل هذا الأمر لا يحدث عند الأنبياء أو يقع لظهور المعجزة قط

٣-ان العلم يتحقق على اساس الملاحظة والحس والتجربة وربط المتراكم المعرفي، بالمستحدث منه على حين أن المعجزة تكون بأمر الله تعالى من دون تدخل النبي فيها

٤-ان المعجزة تتحدى العلم والعلماء على أن يأتوا بمثلها على حين لايحدث ذلك قطعا فالعلم غير قائم على اساس التحدي

المحاضرة الثامنة
أنواع الإعجاز

اولا : الإعجال البياني في القرآن
امتاز القرآن الكريم بلغته الفصيحة البليغة ، وحسن نظمه ، وروعة بيانه ، حتى كان معجزة النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ، التي تحدى بها اساطين البلاغة والفصاحة في عصره والذين عجزوا عن مجاراته والإتيان ولو بأية واحدة من مثل آيات القرآن الحكيم ، ومظاهر الإعجاز البياني تتمثل في سبعة أوجه هي :
الأول : الخصائص العامة للأسلوب القرآني
الثاني : الكلمة القرآنية .
الثالث : الجملة القرآنية .
الرابع : ضرب الأمثال في القرآن الكريم .
الخامس : الإيجاز في القرآن الكريم .
السادس : التكرار في القرآن الكريم .
السابع : الفاصلة القرآنية
أولا : الخصائص العامة للأسلوب القرآني يختلف القرآن الكريم في نظمه عن النثر والشعر ، ولكنه في الوقت نفسه يجمع من خصائصهما ما يخير السامع له ، والإعجاز البياني للنظم في القرآن الكريم يظهر :
ا : إن الأسلوب القرآني يجري على نسق بديع خارج عن المعروف من نظام كلام العرب أجمع ، فالفنون التعبيرية عندهم لا تعدو أن تكون شعرا أو نثرا ، ولكن القرآن شيء آخر ؛ فاذا قرأت القرآن . شعرت بتأثير شديد في نفسك استمع إلى قوله تعالى : ((يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم * يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد)) ، فهذه الآيات القرآنية بتأليفها العجيب ، ونظمها البديع حينما سمعها عتبة بن ربيعة -وكان من أساطين البيان- استولت على أحاسيسه ومشاعره ، ووقف في ذهول وحيرة ، ثم عبر عن خيرته وذهوله بقوله : " والله لقد

سمعت من محمد قولا ماسمعت مثله قط والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة.... والله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ عظيم"
ب-أن الأسلوب القرآني يمتاز باتساق عباراته
ج-معانيه مصاغه بشكل يصلح أن يخاطب بها الناس كلهم
د-الناظر في القرآن يجدد فيه القصص والمواعظ و الاحتجاج والحكم وغيرها
ه-تميز بظاهرة التكرار الذي ينطوي على معان بلاغية والتهويل والإنذار والتجسيم.

الخصائص المتعلقة بجمال المفردة القرآنية
١-مسوقة في موقعها المناسب
٢-ان هناك كلمات يظن القارئ انها مترادفة

المحاضرة التاسعة

الإعجاز التشريعي

هو إثبات عجز البشر جميعا افرادا وجماعات عن الإتيان بمثل ماجاء به القرآن من تشريعات وأحكام.

مزايا تشريعات القرآن المعجزة

١-الهداية :أخبرنا الله تعالى عن هدف اساسي للقرآن وهو هداية الناس، الى الله (ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم)

٢-الدوام: أن التشريع خالد لم يتطرق إليه اي تعديل أو تغيير أو تحريف وهذا مصداق لقوله تعالى (انا نزلنا الذكر وانا له لحافظون)

٣-رعاية مصالح البشر: تميز برعاية مصالح الناس فلم يأتي أمر الا ولهم فيه مصلحة ولم يأت نهى الا فيه ضرر

٤-التوازن بين المادة والروح

٥-شمولية التشريعات :شاملة لحياة الأفراد والجماعات

٦-عدم المزاجية:اي لايجوز للفرد أن ياخذ منها مايتفق مع هواه

نماذج من الإعجاز التشريعي

االتشريع الجنائي القصاص : (يأيها الذين امنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى فمن عفي له من أخيه شيء فأتباع بالمعروف واداء إليه بإحسن ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم) وهنا نشير إلى المائز بين الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي من خلاف في جريمة القتل ، فقد وجبت بعض القوانين عقوبة الإعدام في بعض الحالات للقتل كما إذا كان بالتربص او بالسم ، واكتفت بعقوبة الاشغال الشاقة المؤبدة أو المؤقتة . فالإعدام كما أراد القرآن الكريم إرواء لعاطفة في نفوس أولياء الدم وإطفاء لنار الحقد عندهم فإذا عفا أولياء الدم لم يكن للشارع مقصد من إقامة القصاص وربما عاقب بما دون ذلك .

السرقة : واجهت الشريعة جريمة السرقة بعقوبة قاسية وهي قطع اليد ((والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكلا من الله والله عزيز حكيم)) ، هذه العقوبة فيها استئصال للجريمة وردع لكل من تسول له نفسه بشيء من هذا القبيل .

تحريم الربا : جاء التشريع القرآني بما يحفظ أموال الناس ويمنع الاستيلاء عليها ويتحقق ذلك بتحريم الربا فقال تعالى ((و الذين يأكلون الربوا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربوا وأحل الله البيع وحرم الربوأ)) فالربا حرام لأنه استيلاء على أموال الناس بغير حق واستغلال لحاجتهم وهذا وغيره من التشريعات التي تحفظ الحياة المعيشية للفرد المسلم ، بعكس ما يتشدق به الغرب من ادعاء لحفظ الحقوق

الزكاة : يظهر الإعجاز في الزكاة في أن الزكاة تطهير للنفس من الشح والبخل ، وكبح للنفس ، وتربية على الإحساس بمعاناة الفقراء وإعانتهم على قضاء حوائجهم ، فهي ترسيخ لمبدأ التكافل الاجتماعي ، وإسهام ناجح في معالجة مشكلة الفقر الذي أعيت العالم بل قامت من أجلها حروب وسالت دماء ((ومثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم)).

المحاضرة العاشرة
الإعجاز العلمي في القرآن الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾

في هذه الآية المباركة يتحدى القرآن الكريم المجتمع العقلاني من الإنس والجن الإعجاز القرآني . في أن ياتوا بمثل القرآن الكريم ، وهذا يكشف عن المرحلة الثانية ألا وهي : مرحلة ليس الإعجاز القرآني إعجازا لفئة خاصة ، لو كان القرآن الكريم معجزة لفئة خاصة لما تحدى المجتمع العقلاني كله ، فإن هذا التحدي يكشف عن ان القرآن في تمام أنحانه وجهاته هو معجزة ، الأديب البليغ يكتشف الإعجاز البلاغي في القرآن ، علماء القانون يكتشفون الإعجاز التشريعي في القرآن بلحاظ ماقبله ومابعده من القوانين والتشريعات ، علماء النفس ، علماء الاجتماع يكتشفون اطروحات القرآن ويكتشفون إعجازه في هذين المجالين ، كذلك علماء الفلك ، علماء الأحياء ، علماء الفيزياء ، إذن كل متخصص يكتشف إعجاز القرآن من خلال تخصصه ، وهذا هو معنى تحدي القرآن للمجتمع البشري ، وللمجتمع العقلاني من الإنس والجن

فالإعجاز العلمي : هو اخبار القرءان الكريم بحقيقة اثبتها العلم التجريبي ، وثبت عدم امكانية ادراكها بالوسائل البشرية في زمن الرسول . وهذا مما يظهر صدق الرسول محمد فيما أخبر به عن ربه سبحانه . حديثنا عن صورة من صور الإعجاز العلمي في القرآن ، ألا وهو السبق العلمي في القرآن :

أولا : الإعجاز العلمي : القرآن كتاب هداية كما أفصح عن نفسه (إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم) ، (ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين) ، إلا أن روافد الهداية وطرقها متنوعة ومختلفة ، فتارة يقودنا إلى الهداية من خلال وصاياه الروحية ، ومن خلال تعاليمه النفسية ، وتارة يقودنا إلى الهداية من خلال الحقائق الكونية التي يتحدث الاعجاز العلمي في القرآن عبارة عن دلالة مجموعة من الآيات ، دلالة

واضحة منذ زمن صدورها على حقائق كونية لم يكتشفها الإنسان إلا بعد قرون من الزمن بعد القرآن الكريم
ذكر هنا بعض الأمثلة :
المثال الأول : قوله تعالى :((وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا))
، لم يكن العرب يفهمون هذه الظاهرة ، لأنهم لم يغوصوا في المحيطات ولا البحار ولم يكتشفوها ، بعد مئات السنين اكتشف علماء المحيطات والبحار أن البحرين العذب والمالح يلتقيان لكن لا يختلطان ، بينهما حاجز من الفضاء الوهمي يمنع من اختلاطهما ، والآية الأخرى :((مرج البحرين يلتقيان " بينهما برزخ لا يبغيان * فبأي آلاء ربكما تكذبان * تخرج منهما اللؤلؤ والمرجان)) الرازي في تفسيره بعد ٧٠٠ سنة من نزول القرآن يقول بأن أهل زمانه أي المعاصرين له من البحارة كانوا يقولون بأنه لا يوجد لؤلؤ ومرجان في الماء الحلو ، ولا وجود له إلا في الماء المالح ، كانوا يعترضون على القرآن في القرن السابع ، بعد مئات السنين اكتشف الغواصون ، علماء المحيطات والبحار أن المعادن الغالية كالألماس واللؤلؤ والمرجان تستخرج من الأنهار العذبة كما يستخرج من البحار المالحة تماما .
المثال الثاني : قوله تعالى : ((ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ اِئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ))

، هناك كتاب موريس بوكاي « القرآن والتوراة والإنجيل » يقارن بين الكتب الثلاثة بناء على مكتشفات العلم الحديث ، يذكر في هذا الكتاب أن العهدين القديم والجديد نصا على أن أصل الوجود هو الماء ، لكنه يقول أن هذا خطأ ، أصل الوجود بحسب الاكتشاف العلمي هو النار - الدخان - وليس الماء ، وأن القرآن أصاب في اكتشاف أصل الوجود بخلاف كتاب العهدين ، يقول أن القرآن عبر بالدخان ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ الدخان هو : هالة غازية تتضمن مواد نارية صلبة ، وهذا يتطابق مع الحقيقة العلمية ، منذ أن حدث الانفجار العظيم وامتد بسرعة أسرع من الضوء ، تشكلت هذه الكتلة الغازية المعبر عنها بالدخان ، كوزان مدير المرصد الفلكي في طوكيو يقول من خلال السفن الفضائية اكتشف أن بعض النجوم مازال

هالة غازية ، مما يدل على أن أصل الكون كان كتلة غازية . إذن كلام القرآن تطابق مع المنطق العلمي ، هناك فرق بين أصـل الوجود ، واصـل الحياة ، فاصـل الوجود هو الهالة الدخانية ، واصـل الحياة هو الماء ، الحياة تأخرت ، هذا الكون المادي مند (١٣- ٧) مليار سنة ، بينما الحياة بدأت من قبل ٤ مليار سنة ، بدأت الحياة بأول عنصر وهو عنصـر الماء ، فالماء مبدأ الحياة وليس مبدأ الوجود ، لذلك قال تبارك وتعالى ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ .